اشكالية السعادة والقلق في ظل التقنية بين مارتن هيدجر واولريش بيك

م. د. علاء كاظم الربيعي
كلية الآداب/ جامعة واسط

المقدمة.

يتجلى البحث عن السعادة بما توفره القيم الاخلاقية من أسس وقواعد تُمكّن الفرد من السلوك نحو تحقيق السعادة والخير لذاته والاخرين، وهذا لا يقتصر على مشروع إيدلوجي محدد بل تشترك في ذلك مجالات ومشاريع مختلفة، وهذا ما تعهد العلم بتحقيقه للأفراد من المتعة والرفاهية بوساطة التكنلوجيا والتقنية ، التي بإمكانها تخليص الأنسان من الواقع التعيس أو المعاناة، فالدراسة هذه لا تختص بماهية السعادة مفهوماً ودلالات ، بقدر ما هو توضيح وتفكيك لمنطق الوهم الذي قامت عليه هذه المشروعات الايدلوجية ، إذ أن التكنلوجيا والتقنية مثلما اختزلت الكثير من الوقت، والتقريب بين المسافات، والانجازات العلمية الهائلة التي خدمت الأنسان، إلا إنها في ذات الوقت استوعبته ، ليتحول الى هامش على ما جاء به العلم، بعدما كان مركزًا يحرك الطبيعة والعلم معاً، ليتبدد جهده الى هيمنة يخضع لها، ومن كونه منتج الى مستهلك فحسب.

أن تطور الجانب التطبيقي للعلوم فيما يخص الأجهزة التقنية التي ابُتكرت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أدى الى التطرف والمغالاة في النظر الى نتائج هذه العلوم ، إذ غيرت التطبيقات العلمية وجه الحياة في العالم كاختراع التليفون والتلغراف والتصوير الفوتغرافي والسينما والسيارة ...الخ. وكانت نتيجة ذلك سيادة نوع من الايمان المتطرف بالعلم ، وصل إلى حد الاعتقاد بأن العلم الدقيق والمعرفة العلمية الدقيقة ووتطبيقاتها التقنية هي وحدها القادرة على أن تاخذ بيد البشرية في الطريق الموصل الى السعادة والكمال ، متجاهلة بذلك ما يمكن أن يقدمه الفن أو الشعر أو الادب أو الأستبصار الاخلاقي [١].

لم يتوقف تطور التقنية على اختزال دور الانسان بل عملت على أعادة انتاجهُ وفق ما تخطط له وما تتبعه، وذلك من بث البرامج العلمية والاجتماعية ، إذ يتحول تفكير الأنسان من ما هو جوهري ومن كَونهُ خليفة يحمل رسالة انسانية، لم يكلف بها إلا هو على سائر الموجودات الى تحجيم وجوده وغاياته في اشباع الرغبات فحسب، ولا تكون السعادة إلا بهذا المعنى. لكن الأسئلة التي يمكن بحثها في مدى اخفاق التقنية في تحقيق السعادة. والانحراف عن ما جاءت به، وهذا ما نبحثه على مستوى العرض والتحليل والنقد عند فلاسفة وعلماء اجتماع وهو على سبيل الايجاز وليس الحصر كل من(مارتن هيدجر١٨٨٩-١٩٧٦م، اولريش بيك ١٩٤٤- ٢٠١٥م).

بعد أن حلت التقنية محل كل عقيدة يمكن أن يرجع لها الأنسان بعد الخواء الروحي. نجدها حلت محل العمل كذلك، إذ احلت التقنية محل الراسمالية مكونة بذلك ازمة العمل الذي يعد بحد ذاته عامل عوز وفقر لكثيرين ممن تركوا العمل وهذا ما يتجلى عند ماركيوز في علاقة العمل والتقنية.

أفرزت التقنية العديد من المشاكل التي تعد مخاطر تهدد أمن الانسان وحياته، ومنها مشكلة البيئة والتلوث وما يتداخل مع مشكلة الاحتباس الحراري، وصولا الى مشكلة الغذاء وأزمة السكن التي لم يوفر لها الاطار اللازم حتى الان ، مروراً بمشكلة الموارد الطبيعية التي يطلب حلها نوعا من التفكير في الحاضر والمستقبل، ومحاولة الخروج من قوقعة الانانية والمصلحة وحب الاستهلاك التي تسود المجتمعات البشرية الحالية [٢] . وهذا ما نعالجه مع اولريشك بك في المخاطرة الكونية.

أن تحديد مفهوم التقنية كمصطلح فلسفي من جانب ومطلح علمي من جانب آخر يمكن أن يعتنق بثلاث علاقات ألا وهي [٣]:

١- علاقة حوار: فن ، مهنة ، مهارة ، علوم تطبيقية .

٢- علاقة إرتباط . إحتياج ، وسيلة ، تقدم ، علم ، منفعة .

٣- علاقة تعارض الوجود _ هيدجر .

وهذا مانبحثه مع هيدجر في العلاقة بين التقنية والوجود وهل تشكل خطرا بحد ذاتها أو أن الخطر يكمن في تاثيراتها لا في ماهيتها .

أولاً: مارتن هيدجر.

في فلسفة هيدجر ناخذ خواص محددة، كثيراً ماتتعارض مع السعادة أو تنافيها، وهو مبدأ القلق والعدم ، إذ أن حياة القلق هي ماينبغي أن يعيشها الانسان، اذا أراد أن يخرج من هيمنة المجتمع بكل ما يشكله من قواعد وتقاليد تحقيقاً لمبدا الحرية ، فالقلق هو ما يحرك الأنسان ويعزز انسانيته ، على أن ذات القلق هو ما يتشكل خطرا على الانسان مع وجود التقنية، أو الجانب الخطر منها، وأن كان هنالك اختلاف بين هيدجر الذي جعل حياة الخطر هي غاية للأنسان يسعى للوصول اليها وبين اولريش بيك الذي نقد هذا القلق وأن التقنية قد تكون بتاثيراتها السلبية عدماً للحياة والأنسان .

جدلية السعادة والقلق الوجودي.

تعرف الاشياء بتناقضاتها وهذا ما يمكن معرفته في سير مفهوم السعادة بالضد مع المفاهيم التي جاءت بها الفلسفة الوجودية ، إذ تتنافي قيم الخير والسعادة مع القلق والعدم والبؤس والمستقبل المجهول الذي ينتظر الانسان ، فالوجودية كما يراها هيدجر وسارتر " ليست مذهبا فلسفياً بقدر ما هي نزعة يأس وتشاؤم . ذلك أن الأنسان متى انصرف عن مشاغله وهمومه وضروب القلق التي تساوره من كل جانب ، وفكر في ذاته لم يجد سوى العدم المطلق أو الفراغ التام، فلا يدري لماذا جاء الى هذه الحياة التي سوف تنتهي بأن تقذفه الى العدم مرة اخرى" [٤].

مجرد أن يسري في الأنسان صراع الوجود والبقاء ، والياس من كل مما حصله عليه بالمعاناة * ، نجده قد فقد الأمل والمتعة في هذه الحياة ، وهذا ما يتشكل مع ما يحمل من الهم ، فـــ " العلاقة بين الانسان والعالم ليست مجرد علاقة بين موجودين كائنين في المكان ، أو مجرد صلة بين ذات وموضوع ، وإنما هي علاقة وجودية قوامها الشعور بالأهتمام . ومعنى هذا أن مجرد ارتباط الموجود البشري بالعالم هو الذي يجعل منه موجوداً (مهموماً) يحمل دائما عبء وجوده "[٥] . ولا يمكن للأنسان أن يحضى بالسعادة مع وجود الهم والقلق ، وإن وجدت تكون بذلك مصطنعة وليست حقيقية أو تكون وهمية ، وحتى اللذة نجدها مقرونة بذلك القلق والنظر للحياة على أنها عدم . بل نجد أن هيدجر يجعل شرطاً اساسياً للحياة الحرة بان يعيش الانسان القلق بكونه عقلاً مختلفاً أو إنسانا يتميز عن الحياة الجمعية للأخرين.

يميز هيدجر بين الوجود الاصيل للذات أي الوجود الحقيقي وبين الوجود الوهمي وهذا مايصف به الانسان الحديث في ظل العيش ضمن المجتمع البشري دون أن يكون واعيًا، مرتبطاً بالعقل الجمعي ، " أن أنسان العصر الحديث قد اصبح يعيش في حالة اجتماعية زائفة ، لانه أتخذ من (الوجود مع الاخرين) ذريعة للتنازل عن وجوده الخاص، فلم يعد وجوده سوى أنغماس في عالم الجمهور، وهكذا فقد أنسان العصر الحديث انسانيته وحريته وصار مجرد موضوع ينطق بلسان الاخرين ، ويتحرك في مجال ذلك الوسط الاجتماعي الغفل "[٦] . وبالامكان ابدالهُ بغيره ، بقاء الانسان في الوجود فهو ما يسميه هيدجر بالسقوط [٧]، بهذه الصورة الواهمة أو المزيفة.

أن ما يميز الوجود الانساني هو أن يكون ذاته ، بيد أن يكون كذلك ، فهو ليس واقعة من الوقائع ، أو مجرد معطى بسبب بسيط ، وهو أن الانسان ليس شيئاً ، ولذلك فأن الانية أو الذاتية بتعبير اوضح هي تظل مجرد إمكانية علينا أن نحققها أو نكتسبها، والوجود الزائف المبتذل هروب من الذات ، ورفض لمعرفة الوضع الانساني وتحمل ما يفرض من مسئولية وأعباء، وهو في الوجود الزائف يسعى الانسان إلى النسيان نسيان ذاته ، والتشاغل عنها، والتلهى عن مأساته الانسانية ، وتعاسته الطبيعية ، إنه في نهاية الأمر اغتراب عن الذات وإضاعة لها [٨] . ونحن قبال ذلك امام ضربين من الوجود البشري وجود

حقيقي اصيل ووجود زائف ، وهذا ما ينتمي الى الذات الواهمة التي تعيش الاستلاب ، والذات الحقيقية التي تعيش الارادة ، فالوجود الزائف هو ماتهرب به الذات من حريتها ، والتنصل من مسؤليتها، والتخلص من الشعور بالقلق.

نصل بذلك، في أن الوجود القلق هو ما يختلف فيه الانسان عن الاخرين وبه تكمن السعادة عند هيدجر بكون الأنسان القلق هو إنسان حر، ومن هذا الجانب ننقد هيدجر في تصوره، وأن كان محقا في جزء منه في التمييز للوجود الحقيقي للانسان عن الاخرين. ولكن ليس بهذه الصورة التي تخلق منه انسان متصارع مع ذاته ومع الاخرين بعيداً عن كل مفاهيم الطمأنينة والسكينة التي هي عوامل سعادة بحد ذاتها، وبذلك أين نضع معايير الجمال والمتعة من كل ما جاء به هيدجر للوجود ، وكون الحياة ضبابية مظلمة اكثر مما كونها جميلة وممتعة .

ماهية التقنية في الخطر.

يقترن مفهوم التقنية مع التكنولوجي: كانت التكنولجيا أو التقنيات تستخدم لوصف المعالجة النسقية ، مثلاً ، في دراسة الفنون ، وسيما الفنون النافعة أو الالية، كما يوحي جذر الكلمة الاغريقي (tekhne) الذي يعني الفن أو اتقان صنعة معينة.

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، كان استعمالها الرئيس يرتبط مباشرة بالحّرف الصناعية . وتطابقت هذه المهارات والتقنيات التطبيقية مع صناعة المعامل والتجارة[٩]. وصولا الى التقنيات الحديثة في اللكترونيات وما يهمنا هو انعكاس هذه التقانة على الواقع والانسان والتحول القيمي له.

عرض هيدجر التقنية على مستوى تاريخ الفلسفة المتعاقب، إذ ما اخذناها بمعنى العلم والمعرفة، فأنها تعود الى اليونان في حدود فترة افلاطون ، كانت كلمة تقنية مرتبطة دائما بكلمة (أبستينيوس) وهي تعني العلم والمعرفة . وقد يفهم من هذه الكلمة معنى الانكشاف أو التنبؤ، فالاهتداء الى شيء ما ، والتعرف عليه . إذ تقدم المعرفة انفتاحات ، وبما هي كذلك انكشاف ، وهذا ما يميزه ارسطو في الاختلاف بين الانكشاف والمعرفة [١٠].

نجد محاولة الانكشاف والتنبؤ عند مارتن هيدجر في الوصول الى الحقيقة * ، والتي بامكنها أن تخلص الانسان من القلق الذي يهيمن عليه في مواجهة المستقبل ، ويتخذ اولريش بيك هذا المعنى في محاولة الحد من المخاطرة، أو كشف الخطر قبل وقوعه. أن مصير الانكشاف ليس في حد ذاته خطراً من بين الاخطار، بل هو الخطر عينه، أذ يستخدم هيدجر معنى التقنية في التمييز بين ما تأتي به وبين سر ماهيتها ، أن القدر الذي يوجه نحو التسخير هو الخطر الاقصى ، ليست التقنية هي ما هو خطير ، بل هناك غموض ماهيتها ، إن ماهية التقنية ، من حيث إنها مصير للانكشاف هي الخطر . أن المعنى المعدل لكلمة استفسار (Gestell) يصبح مالوفا لدينا إذا فهمنا الاستفسار بمعنى المصير أو القدر وبمعنى الخطر[١١] . فالانكشاف أو التفسير لايمكن فهمه، الا بفهم مفهوم الموت، بكونه الحالة الوحيدة التي تكشف ذلك القلق وتبدده في ذات الوقت ، مفهوم الموت كثيراً ما ارهق الانسان وحال دون تحقق سعادته، فلحظة الموت هي لحظة الانكشاف لما لم يكن يدركه وهي بذلك تفسير للحقيقة أو العدم أو تفسير المسقبل .

أن مايمكن ملاحظته بالخطر الذي يشكل المبدا الكامن للحياة عند هيدجر، هناك حيث يكون الخطر ينمو ما ينقذ وما يمكن أن يعاش في تميز الافراد، وأن أختلفت ماهية التقنية في ذلك بين هيدجر وما وضحه اولريش بيك في عد التقنية هي حياة المخاطرة التي تهدد الانسان بتطوراتها، وهذا ما عمل على محاربته وأن كان الاشتراك معاً في عامل التنبؤ والانكشاف، الا أن الاختلاف في حياة الخطر والقلق هي ما ينمو وينقذ الانسان في نفسه، وان كان العالم هي ذات الانسان التي يصطدم بها .

أن العدم الذي يحول دون تحقق السعادة للانسان لا يقتصر على الموت والعدم، بل يسري ذلك على التقنية بانها جزء من ذلك العدم التي تسعى اليه من خلال تطور الاسلحة... وما يدخل ضمن المخاطرة متشكلة بالارهاب والعنف وفقدان الامن، وهذا مايمكن بحثه في ارهاصات التقنية والمخاطرة عند اولريش بيك .

ثانياً: اولريش بيك.

تبعث التقنية على الخطر وعدم اليقين التي تقف من السعادة على طرفي النقيض ، قد يذهب التأمل حول ما تصنعه التقنية للانسان من روائع الى الاخذ بيده الى السعادة والرفاهية، على الرغم مما يجوبها من مخاطر، وهذا مانلاحظه في فلسفة اولريش بيك. بالاختلاف مع هيدجر حول مسألة التقنية والخطر أو الاقتراب من مدرسة فرانكفورت النقدية .

يقترب اولريش بيك من مدرسة فرانكفورت في النظرية النقدية من تحول العقل الكوني الى عقل اداتي غايته الهيمنة والسيطرة على الانسان كما سنشهده عند هوركهايمر في كتابه تواري العقل عام ١٩٤٧م وكتابه الثاني جدلية العقل في نفس السنة بالاشتراك مع أدورنو. العقل الذي يتحث عنه المؤلفان هو العقل الغربي الْمَعرف هنا بالثقافة التقنوعلمية ، وبالتسيير والفعالية . وهو مايسميه ماكس ويبر بالعقل الاداتي . فقد العقل خاصيته الثورية المحررة التي كانت له في عصر الانوار ، عندما كان أداة تحرر من الدين ، من الخرافات والمعتقدات السحرية . اصبح أداة تسلط وإخضاع وإخضاع للجماهير وتوحيد للسلوكيات . تواري العقل وجدلية العقل مستوحان من هيجل الجدلية وماركس نقد الراسمالية يترجمان بشكل فلسفي نقدا للمجتمع الصناعي والتسيير التكنورقراطي للاقتصاد [١٢].

يتناغم كذلك. تفكير اولريش بيك مع ماركيوز احد اعضاء هذه المدرسة وهو تلميذ هيدجر في الثورة والعمل، إذ ينقد الراسمالية في استعبادها الاقتصادي والثقافي للفرد ويمكن بيان ذلك في علاقة انهاء التقنية لروح العمل. أما الاختلاف بين هيدجر وعالم الاجتماع اولريش بيك ، قد لاتكون هنالك علاقة مباشرة إلا إن القضية هي ذاتها التي بحثت من قبلهما فيما يخص التقنية بعلاقتها بالوجود عند هيدجر، وهو محور القلق الوجودي الذي يستثمره اولريش بيك في المخاطرة ، " إن(القلق بشأن الوجود) الذي أثارته المخاطرة العالمية على مستوى العالم ، قد أدى منذ زمن طويل... الى المقامرة حول الوجود، إلى مسابقة حيازة قبح العالم "[١٣]. ويوجد هذا القبح والهيمنة على العالم من خلال المشكلات التي تكبل الانسان بالقيود وهي من جراء تأثير التقنية، ولعل هذا مابحثه اولريش بيك في كتابهُ (مجتمع المخاطرة العالمي) بحثاً عن الامن المفقود ، في تاثير التقنية والتكنلوجيا على الانسان.

بحث اورليش بيك المخاطرة بكونها تحول دون تحقيق الأمن والرفاهية الاجتماعية ومن ثم السعادة ، وقد يكون ذلك فيه شيء من التناقض أي كلما زادت التكنلوجيا والتقنية تقدماً كلما زادت الرفاهية للمجتمع ، وأن كان ذلك من المبالغة بسبب المخاطر التي زادت بازدياد تطور التقنية .

يؤثر التطور التقني على ازدياد وتيرة الخطر واعمال العنف والارهاب والازمات الكونية التي حددها اولريش بيك في (التغيير المناخي – الارهاب – الطاقة الذرية – الاسلحة النووية) التي تضاعفت مع تقنيات المستقبل (الهندسة الوراثية – والتقنيات الشديدة الصغر " تقنيات النانو" وصناعة الانسان الالي)، التي تسببت بازمات محلية ودولية ، فالتحولات الوراثية وتقنيات التواصل والذكاء الاصطناعي ، والتي تتمازج يوما ما فيما بينها ستقوض احتكار الدولة باللجوء الى العنف ، والانتقال بالحرب الى من كونها دولية (دولة ضد دولة او دول) الى فرد أو افراد ضد دولة وهو مايسمى بفردنة الحرب [١٤].

ويمكن أن نأخذ امثلة كثيرة على احداث هذه الازمات ، إذ يمكن لطاعون يُبتكر وراثياً ان يستهدف سكاناً معنيين من خلال إطالة فترة الاحتضان ، كما يمكن التهديد بقنبلة ذرية صغيرة يمكن تصنيعها من قبل أي كان بتكاليف زهيدة . فالفارق بين الاسلحة الذرية والكيمائية فارق بعيد يتعلق بتطورات تقنية تقوم على المعرفة [١٥]. وهذا ما يمكن ملاحظته في علم الطب

الجيني الذي يحاول أن يشخص الجينات الوراثية، أذ بامكانه أن يتنبىء بتراكيب جينية ذات مخاطر اقل واستبعاد اجنة المخاطرة. وفي ذلك يتعين على جميع الازواج اجلا او عاجلا أن يواجهوا هذا القرار الحاسم ، سواء رغبوا في ذلك، ام لم يرغبوا حيث سيضطرون الى تقييم الامور ليقرروا ما اذا كانت رغبتهم منع المعاناة و الالم. وهو ما يدخل ضمن الامن الصحي والغذائي بما فيها الامراض المزمنة و الفتاكة و منها مرض السرطان ، وهذا ما يدخل ضمن حساب المخاطرة الذي يربط العلوم الطبيعية والتقنية والاجتماعية معاً.

إذ يمكن تطبيق هذا الحساب على ظواهر متباينة تماماً عند إدارة الصحة – بدءاً من مخاطرة المدخنين وصولاً الى مخاطرة الطاقة النووية – كما يمكن تطبيقه على المخاطر الاقتصادية ، ومخاطر البطالة، وحوادث المرور والشيخوخة[١٦] .

نحن نتكلم عن الامن بكونه عامل اساس في تحقيق السعادة للافراد في العصر الراهن، وأن فقده في المجتمع يؤدي الى انهيارات كبيرة على مستوى الدولة والفرد معاً.

وبذلك لانعني الامن الاجتماعي فحسب، بل الامن الوجودي فيما يختص بحفظ العالم والكون، ولاسيما بعد الاضطرابات الكبيرة التي تسبب بها العلم والتكنلوجيا في مشاكل على مستوى تغيير درجات الحرارة والاحتباس الاحراري وصولا الى الحروب النووية والبيولوجية .

يتكلم العلماء ويبحثون كثيراً في أمر عدم الأمن ، لكنهم يعنون بذلك غالباً عدم الامن الاجتماعي ، ويغضون الطرف بذلك عن الانحدار الشديد للامن الوجودي الذي تواجهه العوالم الحية اليوم ، خاصة في الاركان التي يسودها السلم في العالم : فالمحاور الثلاثة للامان - الدولة والعلم والاقتصاد فشلت في توفير عنصر الامان – أذ تدمر المواطن الواثق بنفسه [١٧]. وبذلك تكليف الافراد ما لم تقدر الدولة والعلوم والشركات على القيام به ، مما يبين زيف ما تدعيه التكنلوجيا من تحقيق الامن والسعادة للانسان.

قوة التقنية في اللاعقلانية.

تكمن الإشكالية في سير التقنية ضد العقل بل تهيمن عليه وتعيد انتاج افكاره ولعل ذلك يرجع الى طابع التقنية ذاته، " أن السيطرة الاجتماعية في عصر التقدم التكنلوجي تتلبس طابعاً عقلانياً يجرد سلفا كل احتجاج وكل معارضة من سلاحها"[١٨]. ويبقى العامل العقلي ملتبس في اقترانه مع العصر التقني ، كيف يمكن أن نتصور غياب العقلانية بتطور التقنية، اليس الآخيرة من شانها تعمق العقل وتعزز دوره في التقدم والتطور الذي نلاحظه في كل جوانب الحياة . وهذا متوقف على ما نقصده بالطابع العقلاني للسيطرة في المجتمع الصناعي ؟ أنه قبل كل شيء قدرة هذا المجتمع ، بفضل التطور التقني ، على استباق كل مطالبة بالتغيير الاجتماعي ، وعلى تحقيق هذا التغير تلقائياً.

تبدو العقلانية صفة ظاهرة للتقنية ليس إلا ، من خلال اختلاف الظاهر مع الباطن وما تسعى اليه من توحيد بالرؤى والافكار على المستوين المادي والمثالي يكاد يجعل الانسان ذات بعد واحد[١٩].

التقنية التي في صددها الان تسير ضد العقل وهي بالتالي تقف ضد تطور العمل، "أن الوضعية الاساسية للأزمنة الجديدة هي الوضعية التقنية. وهي ليست تقنية لأننا نعثر فيها على الات بخارية، أو إنها في ما بعد المحرك المعتمد على الانفجار ، بل على العكس من ذلك ، فأن أشياء من هذا النوع توجد فيها لان هذا العصر عصر تقني "[٢٠]. وهذا ما يجعل أن نميز بين انواع واشكال مختلفة للتقنية بحسب العصر الذي يلقي بصفاته وخصائصه عليها، وبذلك يمكن أن نميز بين تقنية قديمة بدائية بدأت مع بدا العمل . وتقنية معاصرة تكاد تلغي جوهر العمل وفاعليته، " أن ما ندعوه تقنية الازمنة الجديدة ليس فقط اداة ، أو وسيلة يمكن أن يكون انسان اليوم سيدها او ذاتها الفاعلة ... أن هذه التقنية هي نمط تأويل للعالم، نمط لا يحدد فقط وسائل

المواصلات والتزويد بالمواد الغذائية وصناعة المسليات ، بل يحدد كل موقف للإنسان – في امكانياته الخاصة – أي أنه نمط يضرب بميسمه كل قدراته على التجهيز وهذا ما يجعل التقنية غير قابلة للخضوع والتحكم بها "[٢١] ، ومن ثمة يفقد العقل منهجه في التعامل مع الكم الهائل من هذه المنتجات ومحاولة أغتناءها ولعل تلك الميزة، ميزة المجتمع الصناعي الساعي الى الانتاج من دون التدقيق بما ينتج، همه الاول الربح على حساب الجانب الاخلاقي والعقلي .

فالمجتمع الصناعي هو برمته مجتمع لاعقلاني ، لأن تطور انتاجيته لا يؤدي تطور الحاجات والمواهب الانسانية تطوراً حراً ، بل على العكس من ذلك تماماً، فإنتاجيته لايمكن أن تستمر في التطور على الوتيرة الراهنة، ألا أذا قمعت تطور الحاجات والمواهب الانسانية وتفتحها الحر ، شأنها في ذلك شأن السلم الذي ينعم به المجتمع المعاصر، إذ أن هذا السلم غير متحقق إلا بفضل شبه الحرب الشاملة المنذرة دوما بالاندلاع [٢٢]. وهذه ما نجده في تغييب دور القوى المراقبة لعمل الانتاج ويكمن ذلك في تطور الاسلحة البيولوجية والنووية .

قد عملت التقنية على تغييب عمل القوى الاجتماعية مثل اختزال دور الاعلام للسلطة القائمة. أو ترغيب منظمات المجتمع المدني بشيء من الامتيازات التي تمنح لها مما يضمن سكوتها والغاء دورها الناقد والمراقب لأداة الحكومات فضلا عن المطالبة بحقوق الافراد ، فما لم يتحقق بفضل القوى المستبدة تحقق بفضل هذا الشكل من الانظمة الديمقراطية، " أن عالم الحضارة الصناعية المتقدمة هو عالم استبدادي يملك القدر لا على وأد أي محاولة لمعارضته ونفيه فحسب، ولا على تمييع وتذويب ودمج القوى الاجتماعية التي يمكن أن تعارضه فحسب ، بل أيضاً على استنفار وتعبئة جميع طاقات الانسان الجسدية والروحية وجميع القوى الاجتماعية للذود عنه وحمايته " [٢٣]. وهنا نتساءل في ماهية القوى الاجتماعية ودورها سيما ان اهميتها تكمن في دورها الاصلاحي وليس الثوري فقط كما يذهب الى ذلك كارل ماركس في القوى العمالية ودورها الثوري.

أن اتحاد القوى المتعارضة في السلطة بإمكانه يبيد دور القوى الاجتماعية ودورها في التغيير بل أن الاتحاد لم يكن لولا هذه الغاية بمعونة ما تقدمه التقنية من عقلانية وشرعية في اعمالها في السيطرة " أن الهدف من توحد المتعارضات في المضمار السياسي قطع الطريق على القوى الاجتماعية التي يمكن أن تكون عامل التغير التاريخي . واتحاد المتعارضات هذا هو الذي يفسر لنا عجز الاحزاب الثورية في المجتمعات الصناعية المتقدمة وانزلاقها المستمر نحو الانتهازية والاصلاحية والاندماج المتعاظم بالنظام القائم "[٢٤]. على أن الاختلاف في التقنية تقدم ما هو عقلاني ظاهراً فقط مع ما تضيفه في الانتظام للإنسان.

انتهاء العمل في وجود التقنية. (انتهاء عصر الوظيفة)

العمل عامل اساسي في بناء الحياة وتعمير الارض وتحقيق السعادة وتكمن هذه الاهمية في بناء الانسان ذاته، فالإنسان الذي يفقد العمل، أو لا يمتلكه، يعيش كل ظروف القلق والفقر والعوز، مهما اختلف العمل فان اتقان الانسان له يشعره بالاطمئنان بما يوفره لنفسه وعائلته ، لذلك وضعت الدول المتطورة والصناعية اهمية كبيرة لتشريع قوانين العمل وتوفير حقوق العامل. وهذا ما دفع فلاسفة كثيرون بان ينصف العمال والطبقة البروليتارية اذ ذهب الى ذلك كارل ماركس و حنة ارندت في التمييز بين مفاهيم عديدة تقترن مع العمل كالدح والنشاط وانعكاسات هذه المفاهيم في الحقول المختلفة منها الاجتماعية والسياسية فضلا عن الاعمال اليومية والمهنية.

يكمن التساؤل في كيفية اختزال التقنية للعمل ، فهي بصورة من الصور حلت مكانه لتختصر الاعمال الكثيرة في عمل واحد والصعبة منها في ايعازات الكترونية بسيطة، كما يذهب الى ذلك ماركيوز في الدور الذي تلعبه التكنولوجيا في تنميط الإنسان، فالتكنولوجيا في نظره : هي علم تحويل الأشياء إلى أدوات مروضة لاستغلالها لأغراض اجتماعية وحضارية، أنها فن غزو الطبيعة والتغلب على مقاومتها الخرساء، من هنا تلعب دوراً تقدمياً على حد قول ماركوز، كما هو في المجتمع

الأحادي البعد الذي أصبح الشكل العالمي للإنتاج المادي، وهي القوة الكلية المحددة لحياة العصر وثقافته، في ظل مجتمع طبقي قمعي اضطهادي، فان منطقها وهو منطق سيطرة الإنسان على الطبيعة، يصبح المنطق المحدد للعلاقات الاجتماعية أيضا فبدل أن تكون قوة تحررية أصبحت عقبة أمام تحرر الإنسان بتحويلها البشر إلى أدوات مسيطر عليها، فتكون عقلانية اللاعقلانية في التكنولوجيا أنها لا تجعل تحرر الإنسان غايتها الأولى، لان الواقع التكنولوجي الراهن هو واقع استعباد الإنسان وتشيؤه وتحوله إلى أداة لا واقع تحرره كما يعتبر ماركوز أن التكنولوجيا سياسة قبل أن تكون أي شيء آخر، لان منطقها هو منطق السيطرة والهيمنة، ولأنها تخدم سياسة القوى الاجتماعية المسيطرة في الوقت الراهن [٢٥].

كيف لنا أن نتصور مجتمع ما بعد العمل الذي بموجبه يفقد الانسان جزء من الامن بما يمكن للعمل أن يوفره، إذ يذهب اندري غورتس في الاجابة من الانتقال الى الوقت الكامل للعمل الى استثمار الوقت لرفاهية الانسان . مكتشفا في تعاسة الحاضر عن خيار لتطور اجتماعي ، يوفق من جديد بين الامن والحرية للجميع على التوالي : إننا نترك مجتمع العمل من غير أن نبحث عن ملامح مجتمع جديد ، نحن نعلم ونحس وندرك أنه من الممكن أن نصبح عاطلين، من الممكن أن نكون عمالا في الحد الادنى ، وعمالا لبعض الوقت باحثين عن فرص العمل ، وعمالاً مؤقتين، ولكن ما يعرفه كل واحد منا نحن الافراد ، لم يصل بعد الى ادراك حقيقتنا الجديدة المشتركة . انه يمين الصدق ، الذي يقول : طوباوية السوق الحرة ليست هي الحل وانما هي سبب المشكل الجوهري ، ثم أن مولدا جديد للنمو لان يبعث مجتمع عمل الوقت الى الحياة [٢٦].

لكن ما هو البديل عن مجتمع العمل ، نحن نعلم أن التقنية حلت نتيجة انتهاء هذا المجتمع وتحول دور الانسان من الوقت الكامل للعمل الى وقت الرفاهية كما مر مسبقا الا أن التحول الطبيعي لهذا المجتمع كما يذهب اولريش بيك في " أن نقيض مجتمع العمل هو تقوية المجتمع السياسي للأفراد ، لمجتمع المواطنين النشيط في عين المكان وعبر الحدود "[٢٧] . أن الراسمالية بوساطة التقنية تلغي العمل. ولم تعد البطالة مصيراً حدياً ، إذ هي تصيب من حيث طاقتها الكل وتصيب الديموقراطية بوصفها شكلاً من أشكال الحياة، ولكن الراسمالية الشاملة ، التي تزيل مسؤولية التشغيل والديموقراطية ، تدفن بذلك شرعيتها الخاصة ، قبل أن يوقظ ماركس جديد الغرب من سباته ، ينبغي العودة إلى الافكار والنماذج المنتهية منذ مدة من اجل عقد اجتماعي متغير . فمستقبل الديموقراطية وراء مجتمع العمل يجب أن يؤسس من جديد [٢٨] .

إلا أن انتهاء العمل أو تحول مساره، كما في وقت الرفاهية لابد من النظر في أن نوع العمل تغير الى ما تقدمه الشركات او المصانع ليس سلع مصنعة بل الى ما يمكن أن يقدم من خدمات فنجد وجود شركات خدمية مختصة بكل الخدمات المقدمة من التعليمية والسياحية وصولا الى خدمات الاتصال والنقل مما يفتح نافذة اخرى لشكل اخر من العمل . ويقترب مجتمع العمل من نهايته كلما زاد تعويض الناس بأستعمال التفنيات الذكية ، فالبطالة المتزايدة، لن يكون من الممكن العودة بها لفترة طويلة الى الازمات الاقتصادية ، وانما الى راسمالية متطورة من الناحية التقنية ، وهذا يعني أن الالية السياسية الاقتصادية القديمة قد فشلت ، وعمل الكسب كله قد وقع تحت طائلة التعويض الخطر الذي لايزال التحفظ بشانه قائما[٢٩].

أن الخطر الكامن بعد انتهاء العمل ليس من مسؤولية الدولة فحسب كذلك الافراد والمؤسسات التي لاترتبط بالدولة بصورة مباشرة ومن حقها، أو تمتلك تسريح العمال بسهولة " كلما زاد عدم تدخل الدولة وزادت المرونة في علاقات العمل ، ازدادات سرعة تغير مجتمع العمل الى مجتمع الخطر تغيرا ، لايمكن تقديره لا بالنسبة الى الدولة والسياسة ومن المهم جدا في الوقت ذاته حل لغز الخطر " [٣٠]. وهذه مشكلة تلخص العمل ومحدوديته بالنسبة للافراد الذي اصبح عامل من تدهور حياة الانسان وتعاسته وفي بعض الاحيان انحرافه الى اعمال غير شرعية .

أن التكنلوجيا أو التقنية التي الغت دور العمال لم تدرك بصورة لا ارادية بان هذا العامل أو المواطن هو صوت فاعل بكونه هو المستهلك و المشتري لكل ما تنتج وما أن يقاطع هذه المنتجات حتى يتعطل دورها، وهذه اشكالية لم يفكر فيها كثير

من القائمون على التقنية، إذ اكتشف المواطن أن فعل الشراء يعد بمثابة ورقة تصويت يستطيع أن يطبقه بشكل سياسي دائم، ففي المقاطعة يتحالف المجتمع الاستهلاكي النشط مع ديمقراطية مباشرة و ذلك على مستوى العالم كله .

الخاتمة.

بعد أن عرضنا جدل العلاقة بين ما يعانيه الانسان وما يهم له أو يقلق وما ساهمت فيه التقنية من تعزيز هذا الوجود الواهم للسعادة والرفاهية التي قيدت بشروط تلك النتاجات يمكن ان نختصر أهم النتائج في الاتي :-

١- مايهمنا من هذه الدراسة هو كيف استطاعت التقنية افراغ الانسان. ولاسيما الاوربي بكونه المُصنع لها الى افراغ قلبه من كل عقيدة دينية أو جانب روحي، مكونة بذلك الازمة الاخلاقية والاضطراب والفوضى في حياة الناس مصادرة بذلك كل عوامل السعادة .

٢- أن القلق عند هيدجر عامل ضروري لاستمرار الحياة، وهو ماينقذ الانسان بما يشكله من الحرية، وذلك في تمييز الوجود الزائف عن الوجود الحقيقي، بينما اولريش بيك يعد الخطر هو ما يُعدم الحياة مسبباً في ذلك ازمات يصل تاثيرها الى كل انحاء العالم .

٣- لا يقتصر الانكشاف أو التنبو بالمستقبل على عامل الموت بكونه لحظة الحقيقة عند هيدجر ومعها يزول كل مجهول، بل أنه يسري على التنبؤ بالحوادث والازمات الكونية ومنها الحروب النووية والبيولوجية .

٤- أعادت التقنية انتاج الافكار من جديد بما يناسب تحقيق الربح في كل مكان، وأن كان ذلك يتصادم مع روح العلم والاخلاق .

٥- عملت التقنية على تلخيص الايدي العاملة مما أدى الى تسريح الكثير من العمال من المصانع ، مسببة بذلك ازمة مالية وفقر دون مراعاة لحقوق العمال.

هوامش البحث

[١] - زكريا ، فؤاد : التفكير العلمي ، سلسلة عالم المعرفة يناير ١٩٨٧ ص١٤٧.

[٢] - أحمد ، ابراهيم . إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت الطبعة الاولى ٢٠٠٦ ص ١٢٩.

[٣] - المصدر نفسه : ص٤٣.

[٤] - بربيه ، اميل : اتجاهات الفلسفة المعاصرة ، ترجمة :د محمود قاسم . مراجعة د: محمد محمد القصاص ، منشورات دار الكتاب للنشر والطباعة والتوزيع ، المكتبة العامة ، جامعة الاسكندرية، سنة النشر ١٩٩٨ ص١٦.

[*] - توجد تصورات فلسفية عدة للمعاناة اذ ترى أنها أمر سيئ ومنفصل تماماً عن السعادة، وتعد مجرد لحظات تعيسة ، تمثل فجوات في حياة السعداء أو فواصل لحظية فيها ، بينما تذهب تصورات اخرى الى انه لايمكن تصور السعادة الا بوجود المعناة وانها مكملة لها . ينظر ليزا بورتولوتي : الفلسفة والسعادة ، ترجمة وتقديم أحمد الانصاري ، مراجعة حسن حنفي المركز القومي للترجمة القاهرة الطبعة الاولى ٢٠١٣ ص١٨٩.

[٥] - ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ص ٤٠٢.

[٦] - ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ، ص ٤٠٦.

[٧]- كامل ، فؤاد : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٩٣ ، ص ١٩٨

[٨] - المصدر نفسه ص١٩٨ .

[٩] - طوني بينيت – لورانس غروسبيرغ – ميغان موريس : مفاتيح اصطلاحية جديدة (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع) ، ترجمة:سعيد الغانمي ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز الدراسات الوحدة العربية الطبعة الاولى بيروت ٢٠١٠، ص٢٠٨-٢٠٩.

[١٠] - هيدجر ، مارتن : التقنية - الحقيقة – الوجود . ترجمة محمد سبيلا ، عبد الهادي مفتاح المركز الثقافي العربي ، ص٥٤

* - بحث هيدجر الحقيقة والية الوصول لها في اكثر من موضع ومنها كتابهُ (نداء الحقيقة) ينظر في ذلك هذا الكتاب ترجمة د: عبد الغفار مكاوي – كلية الاداب – جامعة القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة عام ١٩٧٧.

[١١] - ينظر. مارتن هيدجر : التقنية - الحقيقة – الوجود، ص٥٤.

[١٢] - دوريتي ، جان فرانسوا : فلسفات عصرنا تياراتها ، مذاهبها ،أعلامها ، وقضاياها . ترجمة: إبراهيم صحراوي ، الدار العربية للعلوم ناشرين ، منشورات الاختلاف . الجزائر الطبعة الاولى ٢٠٠٩ ، ص ١٧٢.

[١٣] - أولريش بيك : مجتمع المخاطر العالمي (بحثاً عن الامن المفقود) ترجمة : علا عادل ، هند ابراهيم، بسنت حسن ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الاولى ٢٠١٣، ص١٩.

[١٤] - ينظر اورلريش بيك : السلطة والسلطة المضادة (في عصر العولمة) ترجمة د. جورج كتورة . د. إلهام الشعراني . المكتبة الشرقية بيروت، الطبعة الاولى ٢٠١٠ ص٥٧.

[١٥] - ينظر اورلريش بيك : السلطة والسلطة المضادة ، ص ٥٧.

[١٦] - ينظر اورلريش بيك: مجتمع المخاطر العالمي ، ص ٢٨.

[١٧] - ينظر اولريش بيك : مجتمع المخاطر العالمي، ص ٩٤.

[١٨] -ماركوز ، هربارت ، الانسان ذي البعد الواحد ، ترجمة : جورج طرابيشي . دار الاداب ، بيروت ط٣ ١٩٨٨ ص ١١.

[١٩] - المصدر نفسه ص ١٢.

[٢٠] -محمد سبيلا ، عبد السلام بنعبد العالي: الحداثة الفلسفية (نصوص مختارة) الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط١،بيروت ٢٠٠٩ص٢٣٦.

[٢١] - المصدر نفسه ، ص ٢٣٦-٢٣٧.

[٢٢] - ماركوز ، هربارت : الانسان ذو البعد الواحد ص١١.

[٢٣] - ماركوز ، هربارت : الانسان ذي البعد الواحد ص ١٣.

[٢٤] - المصدر نفسه ص١٤.

[٢٥] - ينظر هربارت ماركوز، الانسان ذي البعد الواحد ص ١٣.

[٢٦] - بيك ، اولريش : هذا العالم الجديد (رؤية مجتمع المواطنة الجديد) ترجمة : د، ابو العيد دودو، منشورا دار الجمل ، الطبعة الاولى ص٩.

[٢٧] - المصدر نفسه ص ٩.

[٢٨] - ينظر اولريش بيك : ماهي العولمة ؟ ترجمة د. أبو العيد دودو منشورات الجمل بيروت – بغداد الطبعة الثانية عام ١٩٩٩ ص ١٠٥ .

[٢٩] – بيك ، اولريش : هذا العالم الجديد ص٥.

[٣٠] - المصدر نفسه ص ٧.

قائمة المصادر.

١- ابراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم –ناشرون ، بيروت الطبعة الاولى ٢٠٠٦ .

٢- أولريش بيك: مجتمع المخاطرالعالمي (بحثاً عن الامن المفقود) ترجمة : علا عادل ، هند ابراهيم، بسنت حسن ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الاولى ٢٠١٣.

٣- ـــ: هذا العالم الجديد (رؤية مجتمع المواطنة الجديد) ترجمة : د، ابو العيد دودو، منشورا دار الجمل ، الطبعة الاولى كولونيا ٢٠٠١ .

٤- ـــ : السلطة والسلطة المضادة (في عصر العولمة) ترجمة د. جورج كتورة . د. إلهام الشعراني . المكتبة الشرقية بيروت، الطبعة الاولى ٢٠١٠.

٥- ـــ: : ماهي العولمة ؟ ترجمة د. أبو العيد دودو منشورات الجمل بيروت – بغداد الطبعة الثانية عام ١٩٩٩ .

٦- أميل برييه : اتجاهات الفلسفة المعاصرة ، ترجمة : د محمود قاسم . مراجعة د: محمد محمد القصاص ، منشورات دار الكتاب للنشر والطباعة والتوزيع، المكتبة العامة ، جامعة الاسكندرية، سنة النشر ١٩٩٨ .

٧- جان فرانسوا دوريتي: فلسفات عصرنا تياراتها ، مذاهبها ،أعلامها ، وقضاياها . ترجمة: إبراهيم صحراوي ، الدار العربية للعلوم ناشرين ، منشورات الاختلاف . الجزائر الطبعة الاولى ٢٠٠٩.

٨- زكريا ابراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر .

٩- طوني بينيت – لورانس غروسبيرغ – ميغان موريس : مفاتيح اصطلاحية جديدة (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع) ، ترجمة:سعيد الغانمي ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز الدراسات الوحدة العربية الطبعة الاولى بيروت ٢٠١٠.

١٠- ليزا بورتولوتي : الفلسفة والسعادة ، ترجمة وتقديم أحمد الانصاري ، مراجعة
حسن حنفي المركز القومي للترجمة القاهرة الطبعة الاولى ٢٠١٣ .

١١- محمد سبيلا ، عبد السلام بنعبد العالي الحداثة الفلسفية (نصوص مختارة) الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط١،بيروت ٢٠٠٩.

١٢- مارتن هيدجر : التقنية - الحقيقة – الوجود . ترجمة محمد سبيلا ، عبد الهادي مفتاح المركز الثقافي العربي لاتوجد سنة نشر.

١٣- ـــ نداء الحقيقة ترجمة د: عبد الغفار مكاوي – كلية الاداب جامعة القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة عام ١٩٧٧.

١٤- فؤاد كامل : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٩٣

١٥- فؤاد زكريا : التفكير العلمي سلسلة عالم المعرفة يناير ١٩٨٧ .

١٦- هربارت ماركيوز ، الانسان ذي البعد الواحد ترجمة : جورج طرابيشي دار الاداب ، بيروت ط٣ ١٩٨٨ .

١٧-